هوامش

ارتبطت بِرْكة البطريرك في العاصمة الروسية موسكو بأساطير وخرافات مختلفة، منذ القرن السادس عشر. ويُحكى عن برك، بحسبَما يشير الاسم الروسي حتى يومنا، علماً أنّها بركة واحدة

تزلّج على جليد البركة (ديميتار ديلكوف/ فرانس برس)

بركة البطريرك

مسرح أحداث «المعلم ومارغريتا» في موسكو

موسكو ـ **رامي القليوبي**

على بعد كيلومترات معدودة من الساحة الحمراء والكرملين وسط موسكو، ثمّة بِرْكة يُطلق عليها اسم «باتريارشي برودي» أو بركة البطريرك التي نالت مكانتها في الأدبَين الروسي والعالمي بعدما جعلها الكاتب المسرحي والروائي الروسي ميخائيل بولغاكوف (1891 - 1940) مسرحاً لبداية أحداث أبرز رواياته «المعلم ومارغريتا». تتناول الرواية رحلة خيالية يقوم بها الشيطان إلى موسكو في عهد الاتحاد السوفييتي وسط إعلان الإلحاد أيديولوجية رسمية للدولة، ويلتقي في فصلها الأوّل مع الأديبَين السوفييتيَّين ميخائيل بيرليوز وإيفان بيزدومني في أثناء جولتهما بجوار بركة البطريرك، فيدخلان معه في نقاش فلسفي حول الله ويسوع المسيح. ويصرّ بيرليوز على إنكار وجودهما من دون أن يعلم من أمامه، فيما يتنبأ الشيطان بأنّ بيرليوز سوف يموت نتيجة انفصال رأسه عن جسده. وتتحقق هذه النبوءة بعد سقوطه تحت عجلات الترام بموسكو في الفصل الثالث من الرواية. ولمّا كان الفصل الأوّل من الرواية قد جاء تحت عنوان «لا تتحدثوا أبداً إلى الغرباء»، فقد وُضعت لافتة خُطّت عليها هذه العبارة لتستقبل زائري بركة البطريرك، للمرة الأولى في عام 2012. لكنّها كانت تُسرق في كل مرة بعد تركيبها، ربّما من قبل المعجبين بإبداع بولغاكوف.

وإلى جانب ارتباطها بأعمال بولغاكوف، نُصب بجوار البركة تمثال للشاعر وكاتب الحكايات الرمزية الروسي إيفان كريلوف (1769 - 1844) الذي نال شهرته من خلال تناوله مختلف الصفات البشرية مسلطة على عالم الحيوان. وتُعرَض في المكان مجموعة تضمّ ست لوحات برونزية مجسّدة لأبطال أعمال كريلوف، من بينها القصائد الرمزية «الفيل وموسكا» و«الغراب والثعلب» و«القرد والنظارة». والأخيرة تتناول قصة قرد تقدّم في العمر ويحصل على نظارة لتحسين بصره، لكنّه لا يعرف كيف يستخدمها فيكسرها.

تقع بركة البطريرك في المنطقة التاريخية من موسكو، محاطة بمجموعة من الشوارع الفرعية. وهي لم تعد اليوم مجرّد وجهة لمحبّي الأدب، إنّما يمكن وصفها بالمنطقة الراقية وسط العاصمة التي تضمّ عدداً من المطاعم الفاخرة، علماً أنّها تُعَدّ واحداً من أغلى الأحياء السكنية في المدينة. ويظهر البحث عبر مواقع إعلانات العقارات بأنّ أسعار الشقق في شارع مالايا برونايا المطل على البركة تبدأ من نحو 650 ألف دولار أميركي لشقة صغيرة لا تزيد مساحتها عن 50 متراً مربّعاً، وتصل إلى نحو مليون ونصف مليون دولار لشقق فخمة مساحتها نحو 70 متراً مربّعاً وتطلّ على البركة مباشرة.

وعلى مقربة من بركة البطريرك، يقع متحف ميخائيل بولغاكوف الذي تأسّس في عام 2007 في الشقة رقم 50 من المبنى رقم 10 بشارع بولشايا سادوفايا، حيث أقام الكاتب مع زوجته الأولى تاتيانا لابا من عام 1921 إلى عام 1924، علماً أنّه كتب في هذه الشقة عدداً من أعماله. وفي إمكان زائري المتحف، إلى جانب التنقّل بين غرف الشقة التي تحفظ ذكرى بولغاكوف، الاطلاع على يومياته التي كتبها عند انتقاله من شمال القوقاز إلى موسكو «بلا مال وبلا متعلقات شخصية للبقاء فيها إلى الأبد»، على حدّ وصفه حاله في سيرته الذاتية. ولم يحرص بولغاكوف في يومياته على تسجيل الأحداث الشخصية فحسب، إنّما سعى أيضا إلى رصد المستجدّات في الدولة السوفييتية الوليدة على المستويَين السياسي والمجتمعي. وفي المبنى ذاته، يقع كذلك متحف ومسرح «بيت بولغاكوف» الذي يقدّم للزائرين جولات تعريفية بالمسيرة الحياتية والإبداعية لبولغاكوف وتعريفاً بشخصيات أعماله الأدبية.

وكان ميخائيل أفانيسيفتس بولغاكوف قد ولد في مدينة كييف (عاصمة أوكرانيا حالياً)، ونشأ في عائلة مثقفة وتعوّد منذ صغره على القراءة وسماع الموسيقى، قبل أن يلتحق في عام 1909 بكلية الطب في جامعة كييف. وبعد تخرّجه عمل طبيباً عسكرياً في الحرس الأبيض الذي تكبّد هزيمة أمام الحرس الأحمر في الحرب الأهلية عقب ثورة البلاشفة في عام 1917. وبعد انسحاب الحرس الأبيض من مدينة فلاديقوقاز حيث كان مقرّ عمله، توجّه بولغاكوف إلى موسكو لتتحول مسيرته من الطب إلى المسرح والأدب. وإلى جانب «المعلم ومارغريتا»، نذكر من أبرز أعماله روايتَي «الحرس الأبيض» و«قلب كلب» ومسرحية «إيفان فاسيليفتيش». تجدر الإشارة إلى أنّه، على مدى سنوات طويلة وحتى الأيام الأخيرة من عمره في عام 1940، واصل بولغاكوف عمله على رواية «المعلم ومارغريتا» التي كُتب لها أن تحقق له شهرة عالمية لم تتضاءل مع مرور الزمن وصُنّفت واحدة من أشهر روايات القرن العشرين.

باختصار

نالت «باتريارشي برودي» مكانتها في الأدبَين الروسي والعالمي على يد الكاتب المسرحي والروائي الروسي ميخائيل بولغاكوف

■■■

في استقبال زائري بركة البطريرك لافتة خُطّت عليها عبارة «لا تتحدثوا أبداً إلى الغرباء» في إشارة إلى رواية بولغاكوف

■■■

بجوار البركة تمثال للشاعر الروسي إيفان كريلوف الذي نال شهرته من خلال تناوله الصفات البشرية مسلطة على عالم الحيوان

وأخيراً

نظرية العنب الحامض

سعدية مفرح

أن يخطئ أحد المصلين أمامك في قراءة الفاتحة، لا يعني أنك تكفر بالصلاة. لكن هناك من يحاول أن يوهم بقية المصلين بذلك، حتى تسود حالة الكفر لدى الجميع. وما ينطبق على هذا المثال يمكن أن ينطبق على أمثلة أخرى نعيشها ونتعايش معها يومياً، على الصعيدين، الفردي والجمعي.

في هذا السياق، واستثماراً لمعاني المثال أعلاه، تعيش الكويت، في الآونة الأخيرة، حالة من الصراعات السياسية الحادّة تحت قبة البرلمان، وخارجه أيضاً، نتيجة تراكمات من المشكلات التي لا تخفى على أحد من الكويتيين، ومن المتابعين للشأن الكويتي. وكان من الطبيعي جداً أن تتولّد من تلك الحالة حالاتٌ أخرى للصراعات الفردية التي ترجمها بعض أعضاء مجلس الأمة، بمختلف توجهاتهم وأفكارهم، بمشادّات ونزاعات بأصوات عالية وألفاظ قاسية. ولأن الكويتيين معتادون هذا كله، وما هو أقسى منه، فقد تعاملوا معهم كعادتهم: انتقادات لا تخلو من التفسيرات والتبريرات، وفقاً للقناعات الفردية وللانتماءات السياسية وغيرها. وهكذا تمضي الأمور في نقاشاتٍ مستمرةٍ وجدت لها، في الآونة الأخيرة، بيئة حاضنة في وسائل التواصل الاجتماعي القديمة، قبل أن تظهر منصّة كلوب هاوس التي أسهمت في تسريع وتيرة النقاشات السياسية الجريئة جداً بين الكويتيين، وهو ما سبّب نوعاً من الصدمة لدى متابعيهم من الخليجيين!

ويبدو أن تلك الصدمة لاقت هوىً أو أهواءً في وجدان بعض الحكومات، فاتخذت مما يحدث في الكويت، بشكل مباشر أو غير مباشر، فزّاعةً ضد الديمقراطية أو نموذجها الكويتي المصغر تحديداً. وهكذا، أصبحنا نتابع بعض الخليجيين وهم يسخرون من الديمقراطية الكويتية، لما يرونه من نزاعاتٍ سياسيةٍ حادّة تحت قبة البرلمان، وهي نزاعاتٌ طبيعية في أيّ بلد يحظى بحراك سياسي متنوع وثريّ، فتجدهم مصدومين من مستوى النقاشات السياسية الكويتية وسقفها العالي جداً، الذي يتجاوز، في بعض أشكاله ومستوياته وصوره، الحدود المتعارف عليها محلياً، خصوصاً أن الجميع يشارك في هذه النقاشات، بغضّ النظر عن أيّ اعتبارات متوقعة. ولأنهم بلا خبرة على هذا الصعيد تحديداً، ولأسباب أخرى لا مجال لذكرها (لأسباب كثيرة هنا)، يأتون بتعليقات بعيدة عن النقد، وهو مطلوبٌ، وقريبة من السذاجة. أما مَن فوقَهم، فيجتهدون في استغلال ذلك كله، بغرض تخويف الشعوب من أي مستوى من مستويات الديمقراطية! وهكذا تجدهم يعايرون الكويت بملفات تستحق الانتقاد فعلاً، كملفي البدون العالق منذ عقود بلا حل حقيقي، والفساد الذي طفحت قضاياه على السطح أخيراً، وغيرهما.

> تغريدات وتدوينات ومقالات شبه موحدة من النخبة والذباب الإلكتروني في انتقاد التجربة البرلمانية الكويتية

ويتجاهلون أن الديمقراطية، أو نموذجها الكويتي المصغر على الأقل، هو ما سمح لهم بأن يعرفوا أن هناك ملفات عالقة. أما الديكتاتورية، فقد أخفت عنهم ذلك كله في البلدان الديكتاتورية! وأقنعتهم بأن ما يقوله التلفزيون الرسمي هو الحقيقة.

الغريب في هذا السياق، تلك التغريدات والتدوينات والمقالات شبه الموحدة من النخبة والذباب الإلكتروني، على حد سواء، في انتقاد التجربة البرلمانية الكويتية، ما يؤكد أنها شيطنة مقصودة ومدروسة! أما أغراض تلك الشيطنة، فلا تخفى على أحد. ولا تخص الكويت! لكن ما يؤسف له فعلاً، أن يتجاوب الجمهور الشعبي مع سياسة الشيطنة، ويحاول أن يقنع نفسه بأن نقيض المشهد الكويتي، بكل تداعياته الصاخبة والحرة، هو خياره الخاص والحقيقي، وهو ما يبدو تطبيقاً لنظرية حياتية قديمة، تقول إن من لا يطول عنقود العنب سيقول إنه حامض وغير صالح للاستهلاك! لكن الديمقراطية، لسوء حظه على المدى القريب، وحسنه على المدى البعيد، ليست عنا، وستبقى صالحة للاستهلاك دائماً!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**